

تقلب السماء

أوكلما نَأَتْ السَّمَاءُ عَنِ التُّرَى
وَنَضَتْ بِأَقْصَى البُعْدِ زُرْقَةً لَوْنِهَا
أَهْوَ التَّقْلُبُ طَبْعُهَا أَمْ بَعْدُهَا
الأَرْضُ مَهْدُ الأنْبِيَاءِ، وَحَسْبُهَا
أَمْ لِلسَّمَاءِ هُمُومُهَا، وَهُمُومُهَا
كَمْ فَوْقَ أَرْضِ النَّاسِ مَأْسَاءٌ طَغَتْ!
نَدَعَى ذَوِي العَقْلِ الرَّجِيحِ وَلَمْ نَزَلْ
وَكأَنَّمَا التَّفَكِيرُ رَمْزُ خَرَابِنَا
وَلَوْ انْتَبَهْنَا رُبَّمَا عَنَّتْ^٣ لَنَا
وَلَعَلَّ هَذَا حَالُهَا، فَأَمَامَهَا

حَلَّتْ قَتَامَتَهَا مَحَلَّ بَهَاءِ^١
وَتَدَثَّرَتْ بِثِيَابِهَا السَّوْدَاءِ^٢
عَنْ أَهْلِ هَذِهِ الأَرْضِ أَوْرَثَهَا الضَّنَى؟
هَذَا لَتَجْتَذِبَ التَّالِقُ وَالسَّنَا
تُسَلَى إِذَا لَاقَتْ هُمُومَ الأَرْضِ؟
كَمْ حَادِثٍ كَالثَّاقِبِ المَنْقُضِ!
نَزْرِي بِكوكبِنَا الصَّغِيرِ شِقَاءَ
فَإِذَا السَّمَاءُ أَبَتْ تَدُومُ سَمَاءَ
أَلْوَانِهَا صُورًا مِنَ الأَحْزَانِ
صُورُ الشَّقَاءِ وَآيَةُ العَدْوَانِ

^١ تستطيع الأشعة الزرقاء أن تُلَوِّنَ السماءَ الأرضية؛ لأن ذرات الهواء تمزقها نظرًا لصغر موجاتها؛ فتسقط وبرى السماء زرقاء بسبب ذلك، ولكن كلما ارتفعنا في الجو وَخَفَّ الهَوَاءُ لاحت السماء زرقاء غامقة، ثم بنفسجية غامقة، ثم بنفسجية معتمة، ثم رمادية، ثم سوداء.

^٢ يقدر ذلك على ارتفاع ١٤ ميلًا عن سطح الأرض.

^٣ عنت لنا: ظهرت لنا واعترضتنا.